

دفاع عن الوحي المحمدى : قصة الغرائق بين العقل والنقل

الدكتور محمد سيد أحمد المُسَيَّر

كلية التربية بالمدينة المنورة - جامعة الملك عبد العزيز
المملكة العربية السعودية .

الأنبياء هم الصفوة من البشر ، والوحي الإلهى إليهم هو قمة المعرفة الصحيحة ، ووصول هذا الوحي إلى الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - محوط بضمان إلهى يمنع التزيد على النص ، ويحول دون التدخل الشيطاني في التبليغ . .
وقد ذكر بعض المفسرين وأهل السير - قصة الغرائق [الغرائق مراد بها الأصنام ، وهى في الأصل نوع من الطير طويل العنق يشبه به في الجمال] . وساقوا لها روايات متعددة ، وهى إن أخذت على ظاهرها تكون قاذحة في مبدأ الضمان الإلهى للوحي ، وقد تلقى ظللاً على ضرورة ثبوت العصمة للأنبياء في مجال التبليغ عن الله تعالى .

وملخص الروايات أن النبي ﷺ جلس في نادٍ من أندية قريش فنزل عليه قوله تعالى «والنجم إذا هوى ، ماضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى . . .» . فقرأها الرسول ﷺ حتى بلغ قوله تعالى «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . .» فألقى عليه الشيطان كلمتين هما : تلك الغرائق العلاء وإن شفاعتهن لترتجى . فسمعها المشركون ورضوا منه هذا التعظيم لأصنامهم .

وفي مساء اليوم جاء جبريل عليه السلام ونبه الرسول ﷺ إلى إلقاء الشيطان ، فمازال مغموماً مهموماً حتى نزلت آية في سورة الحج «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله مالقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم» .

وقد أجهد المفسرون أنفسهم في تأويل هذه الروايات ، إذ وضعوها في مقابلة العصمة للرسول على مستوى واحد ، وأخذوا يوفقون بينهما . . وكل ما قيل في مجال التوفيق لا يغنى من الحق شيئاً ، فالتسليم بها فيه قدح للنبوة وإفراء على الرسول . .

وقد وقف الباحث مع المحققين من العلماء ورفض هذه الروايات من أصلها لأنها لا ترقى إلى درجة معارضة المقطوع به ، وهى قائمة على التلفيق في الإسناد والكذب في المتن .

والآية الكريمة في سورة الحج التى جعلوا سبب نزولها قصة الغرانيق ، لها من السياق الموضوعى والمعنى الواضح ما يبعد بينها وبين هذه القصة المزعومة . .
وأخيرا تبّه الباحث المسلمين إلى ضرورة الفهم الصافى في دين الله عز وجل بعيدا عن انتحال المبطلين وتحريف الغالين . .

الضمان الإلهى

يعتقد المؤمنون جميعا بوجود إبليس وأعوانه ، ويقدرتهم على إغواء البشر ، وأن رسالتهم الأولى هى المساعدة في انحراف الإنسان عقديا وسلوكيا . . فهل في مقدور إبليس أن يخدع النبى في الوحى إليه ؟!

وهل لدى النبى من الآيات ما يجعله على يقين من وحى الله تعالى ؟!

إننا إذا تدبرنا قليلا أدركنا أن الملك أو الرئيس إذا بعث مندوبا عنه لابد أن تتحقق لدى المرسل إليهم شخصية هذا المبعوث حتى يحظى بالقبول . .

ورب الناس أقدر على ذلك ، فهو سبحانه يؤيد رسله بالمعجزات التى يقف أمامها العقل والجهود الإنسانية عاجزا عن الاتيان بمثلها أو محاكاتها . .

والمعجزة يمتنع عقلا ونقلا أن تقع على أيدي المتنبئين والكذابين . . قال الله تعالى «ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين» (١) .

وهذا على فرض التقول ببعض الرسالة فما بالك بمن يتقول الرسالة كلها ؟! فصول الوحى إلى الأنبياء محوط بضمان إلهى يمنع التزيد على النص ويحول دون التدخل الشيطانى في التبليغ . .

قال سبحانه «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا» (٢) .

وإذا كان الشيطان قد منع شرعا من التمثيل بالرسول ﷺ في الرؤيا وإذا كان الرسول قد أخبر أن الشيطان لا يلقى عمر بن الخطاب في طريق واحدة فقال «ماسلك عمر فجا إلا وسلك الشيطان

(١) سورة الحاقة ، آية : ٤٤ - ٤٧ .

(٢) سورة الجن ، آية : ٢٦ - ٢٨ .

فجا آخر» فهل يتصور أن يوقع الشيطان في وحي الله تعالى إلى رسله ١٩ وهل يعقل أن يتمكن الشيطان من التلبس على الأنبياء ١٩

وقد رأيت للإمام الرازي فكرة نفيسة تجعل وصول كلام الله تعالى إلى الملك ثم للرسول ثم للأمة قائما على معجزة خاصة تقطع بيقين مصدره . . فهو يقول (٣) :

«إن الرسول إذا سمعه (كلام الله تعالى) من الملك كيف يعرف أن ذلك المبلغ ملك معصوم لا شيطان مضل ؟

والحق أنه لا يمكنه القطع بذلك إلا بناء على معجزة تدل على أن ذلك المبلغ ملك معصوم لا شيطان خبيث . .

وعلى هذا التقدير فالوحي من الله تعالى لا يتم إلا بثلاث مراتب في ظهور المعجزات : المرتبة الأولى : أن الملك إذا سمع ذلك الكلام من الله تعالى فلا بد له من معجزة تدل على أن ذلك الكلام كلام الله تعالى .

المرتبة الثانية : أن ذلك الملك إذا وصل إلى الرسول لابد له أيضا من معجزة .

المرتبة الثالثة : أن ذلك الرسول إذا أوصله إلى الأمة فلا بد له أيضا من معجزة .

فثبت أن التكليف لا يتوجه على الخلق إلا بعد وقوع ثلاث مراتب في المعجزات» .

إن يقين النبي بمصدر الوحي إليه ثابت وواقع ، وتصحبه بينات من الأمر ودلائل تؤكد في

قلب النبي - أي نبي - وعقله اتصاله بالملاء الأعلى واصطفاه من رب العالمين ، وقد أثبت الله تعالى للنبي هذا الإيمان كما أثبتة للمؤمنين فقال جل شأنه :

«آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . . الآية» (٤)

قصة الغرائق

وقد ذكر بعض المفسرين وأهل السير قصة الغرائق ، وساقوا لها روايات متعددة ، وهي لو أخذت على ظاهرها تكون قاذحة في مبدأ الضمان الإلهي للوحي ، وقد تلقى ظلالة على ضرورة يقين الأنبياء بالاصطفاء ، وضرورة ثبوت العصمة لهم في مجال التبليغ عن الله تعالى . . والغرائق مراد بها الأصنام وهي في الأصل نوع من الطير طويل العنق يشبه به في الجمال . .

من هذه الروايات ماسيق عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن أنيس قالا : جلس رسول الله ﷺ في نادٍ من أندية قريش كثير أهله ، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه . . فأنزل

(٣) التفسير الكبير ، ج ٢٧ ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ، ص ١٨٩ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢٨٥ .

الله عليه «والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى» فقرأها رسول الله ﷺ حتى بلغ «أفرايتم اللآث والعزى ومناة الثالثة الأخرى»، ألقى عليه الشيطان كلمتين: تلك الغرافة العلى وإن شفاعتهن لترتجى فتكلم بها ثم مضى فقرأ السورة كلها فسجد في آخر السورة، وسجد القوم جميعا معه، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود. فرضوا بما تكلم به وقالوا: قد عرفنا أن الله يحى ويميت، وهو الذى يخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت لها نصيبا فنحن معك. فلما أمسى أتاه جبرائيل عليه السلام فعرض عليه السورة، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال: ماجئتك بهاتين. فقال رسول الله ﷺ: أفترى على الله وقلت على الله ما لم يقل؟! فأوحى الله إليه «وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره» إلى قوله «ثم لاتجد لك علينا نصيرا» (٥).

فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم» (٦). فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم فرجعوا إلى عشائريهم وقالوا: هم أحب إلينا فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان.

تأويلات فاسدة

وقد أجهد المفسرون أنفسهم في تأويل هذه الروايات إذ وضعوها في مقابلة العصمة للرسول على مستوى واحد، وأخذوا يوفقون بينهما..

من هذه التأويلات

١ - أن النبى ﷺ كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآتى تفصيلا في قراءته، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات، ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات، محاكيا نغمة النبى ﷺ بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قول النبى ﷺ وأشاعوها.. ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله وتحقيقهم من حال النبى ﷺ في ذم الأوثان وعيها ما عرف عنه.. فيكون ماروى من حزن النبى ﷺ لهذه الإشاعة والشبهة وسبب الفتنة.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٧٣ - ٧٥.

(٦) سورة الحج، آية: ٥٢.

٢ - قال بعضهم إن «في» بمعنى «عند» ، أى ألقى الشيطان في قلوب الكفار عند تلاوة النبي ﷺ ، كقوله عز وجل «وليثت فينا» (٧) أى عندنا .
 فالأمنية بمعن التلاوة كما قال تعالى «ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى» (٨) أى قراءة ، لأن الأمي لا يعلم الكتاب من الصحف وإنما يعلمه قراءة ، وكما قال حسان بن ثابت :
 تمنى كتاب الله أول ليلة
 وآخرها لاقى حمام المقادر
 فالمشركون هم الذين توهّموا أن النبي قال هاتين الكلمتين . .

٣ - ذهب آخرون إلى أن المتكلم بذلك بعض شياطين الإنس وهم الكفار ، فإنه عليه الصلاة والسلام لما انتهى في قراءة هذه السورة إلى هذا الموضع وذكر أسماء آلهتهم ، وقد علموا من عادته أنه يعيها فقال بعض من حضر : تلك الغرائق العلى . . فاشتبه الأمر على القوم لكثرة لغط القوم وكثرة صياحهم ، وطلبهم تغليطه وإخفاء قراءته ، ولعل ذلك كان في صلاته عليه السلام لأنهم كانوا يقربون منه في حال الصلاة ويسمعون قراءته ويلغون فيها . . فتوهم القوم أنه من قراءة الرسول ﷺ ، ثم أضاف الله تعالى ذلك إلى الشيطان لأنه بوسوسته يحصل أولاً ، ولأنه سبحانه جعل ذلك المتكلم في نفسه شيطانا . .

٤ - هناك تأويل أكثر قبحا وهو أن الرسول ﷺ تكلم بهذه الألفاظ سهوا ، أو قسرا ، أو اختيارا . . فعلى الأول يقول قتادة ومقاتل إن الرسول كان يصلى عند المقام فتعس وجرى على لسانه هاتان الكلمتان . . !!

وقال قوم إن الشيطان أجبر النبي ﷺ أن يتكلم بهذا . . !! ويروى عن ابن عباس أن شيطانا يقال له الأبيض أتى النبي ﷺ على صورة جبريل ، وألقى عليه هذه الكلمة ، أو أن النبي عليه السلام لشدة حرصه على إيمان قومه أدخل هذه الكلمة من عند نفسه ثم رجع عنها . . ويذهب الزمخشري إلى أن الرسول سبق لسانه على سبيل السهو والغلط (٩) . .
 وهذه التأويلات وغيرها لا تغنى من الحق شيئا ، ومهما أكثر الناس من تصريف القول فيها فهي حرث في البحر ، والتسليم بها قدح في النبوة ونيل من الوحي واقتراء على الرسول . .

(٧) سورة الشعراء ، آية : ١٨ .

(٨) سورة البقرة ، آية : ٧٨ .

(٩) راجع هذه التأويلات وغيرها في تفسير الطبري ، ج ١٧ ، ص ١٨٦ ، الكشف للزمخشري ، ج ٣ ، ص ١٩ ، وتفسير القرطبي ، ج ١٢ ، ص ٨١ ، وتفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ ، وتفسير الرازي ، ج ٢٣ ، ص ٥٠ .

مع المحققين

ونحن نرفض الرواية من أصلها ، ولانرقى بها إلى درجة معارضة المقطوع به ، ولو شاء ربك لما رواها أحد ولا سطرها . .
وحجتنا في ذلك مع المحققين من أهل العلم مايلي :

أولاً : الاهتمام بالرواية ومحاولة التوفيق بين المتعارضين إنما يكون إذا تساوت الأدلة واتفقت في درجة الاحتجاج بها . . وعصمة الأنبياء في نطاق التبليغ عن الله تعالى من صميم العقيدة وجزئها الذي لا ينفك ، وثبوتها بالعقل والنقل ، وتظاهرت الآيات على إثباتها . .
قال الله تعالى «يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» (١٠) .
فكتمان الوحي أو الزيادة عليه معارضة لهذا الأمر الإلهي الصريح ، وانحراف عن الرسالة التي نيظت بهذا الإنسان المصطفى ، وتمرد على طاعة الله . . وكل ذلك يستحيل في حق الأنبياء .
وقال سبحانه «وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذا لا تتخذوك خليلاً ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ، إذا لأدقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً» (١١) .

فالآية تتحدث عن نعمة الله تعالى وفضله على نبيه ﷺ حيث عصمه العصمة الكاملة ، وثبته التثبيت كله رغم محاولاتهم إغراء الرسول بالتخلي عن رسالته مقابل الملك عليهم أو السيادة ، ورغم شدة البأساء والضراء التي ألحقوها بالرسول والمسلمين . . . ولولا حرف امتناع لوجود ، أى امتنع الركون إليهم لوجود التثبيت الإلهي . .

ثم نلاحظ أن في الآية تهديدا ووعيدا لأدنى انحراف عن الرسالة والميل إلى أهواء المشركين . .
وقال جل شأنه في نفس سورة النجم : «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى» .

فغريب أمر هؤلاء المفتونين برواية الغرانيق ، لقد كان يكفي مطالعة صدر سورة النجم لنرفض كل ما يتعارض معها . . !!

فالرسول ﷺ لا يصدر في فعله ولا قوله التشريعي عن هوى النفس ، وإنما يتعاهده الوحي دائما ، وينزل عليه الملك الروحاني بماله من قوة وفطنة ووضوح . .

وبالتالى لن يستطيع شيطان من الإنس أو الجن أن يفتنه في القول على الله ، أو يزيد فيما أنزل الله ، أو ينحرف عن وحي الله . . «إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما

(١٠) سورة المائدة ، آية : ٦٧ .

(١١) سورة الإسراء ، آية : ٧٣ - ٧٥ .

سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون» (١٢) .

وقصة الغرائق ليس لها من الصحة ما يعارض القطعي من العصمة حتى نكلف أنفسنا محاولة التوفيق . .

وما ذكره الإمام ابن حجر في قوله (١٣) :

«إن القصة رويت بثلاثة أسانيد على شرط الصحيح ، وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل ، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض» .

فلا يزيد الأمر شيئاً ، فلا تزال أدنى مرتبة من ثبوت العصمة للأنبياء . .

وقضية الاحتجاج بالمرسل أو عدم الاحتجاج به لعلاقة لها بمجال العقيدة ، وإذا كان من المقرر أن أحداث الآحاد المرفوعة المتصلة لاتعارض القطعي المتواتر فكيف بالمراسيل !!؟ وكيف بها إذا ناقضت المقطوع به نقلاً وعقلاً !!؟

ثانياً : إن جمهرة كبيرة من العلماء الثقات طعنوا طعوناً قوية في هذه الروايات ، ومالوا بها إلى أنها من وضع الزنادقة وأعداء الدين ، وأنها قائمة على التلفيق في الإسناد والكذب في المتن . .

قال القاضي عياض في كتاب الشفا (١٤) :

«فيكفيك أن هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ، ولا رواه بسند صحيح سليم متصل ثقة ، وإنما أولع به ويمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم . .

قال أبو بكر البزار : وهذا الحديث لانعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل يجوز ذكره ، إلا مارواه شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فيما أحسب ، والشك في الحديث أن النبي ﷺ كان بمكة وذكر القصة . . ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد ، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير .

وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس»

فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف عن طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف مانبه عليه ، مع وقوع الشك فيه الذى ذكرناه ، الذى لا يوثق به ولا حقيقة معه .
وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار رحمه الله .

(١٢) سورة النحل ، الآيات : ٩٩ - ١٠٠ .

(١٣) فتح الباري ، ج ٨ ، ص ٣٢٣ .

(١٤) نقلاً عن كتاب الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج ١٢ ، ص ٨٢ .

وساق الإمام الرازي (١٥) : أنه روى عن محمد بن اسحق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال : هذا من وضع الزنادقة ، وصنف فيه كتابا . .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : «هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعون فيهم» .
وقال الإمام ابن كثير (١٦) :

«قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرائق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركى قريش قد أسلموا . . ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح» .

وقال العلامة الكرمانى (١٧) :

«وما قيل كان ذلك بسبب ما ألقى الشيطان في أثناء قراءة الرسول ﷺ تلك الغرائق العلام منها الشفاعة ترجى فلا صحة له نقلا وعقلا» .

ثالثا : أن الرواية التى سقناها في مفتتح هذه الدراسة عن قصة الغرائق لو تأملناها قليلا نجد بها مأخذ كثيرة - غير ما يتعارض مع العصمة - منها :

(أ) قولهم «جلس رسول الله ﷺ في نادٍ من أندية قريش كثير أهله . .»

والواقع التاريخي يبنى أنه في هذا الوقت ما كان الرسول ﷺ والمسلمون يجهرون بالقرآن المجيد في جوف الكعبة أو في أندية قريش ، وإنما كانوا يتخافتون بصلاتهم ، وقد هاجر بعض المسلمين إلى أرض الحبشة فرارا بدينهم . .

(ب) قولهم «تمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه . .» .

يقصدون به أن الرسول ﷺ تمنى مهادنة المشركين في عقائدهم وتأليفهم على ما هم عليه من ضلال . .

فأى منطق هذا ؟ !

إن الرسالة الأولى والأساسية للنبي ﷺ هي الدعوة إلى الله وحده وإخلاص العبادة له سبحانه ، وقد طلب منهم منذ بدء الدعوة «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا . .» .

فهل هذه القضية تحتمل المواربة أو التأجيل أو التنازل ؟ !

والإلام يدعوههم وعلام يتألفهم إذا نحننا جانب التوحيد ؟ !

(١٥) التفسير الكبير ، ج ٢٣ ، ص ٥٠ .

(١٦) تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ .

(١٧) صحيح البخارى بشرح الكرمانى ، ج ١٨ .

(جـ) قولهم «ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه . .» هذا يخالف ما ثبت في الصحيح أن أمية بن خلف هو الذى فعل ذلك . .

والقصة كما رواها البخارى في صحيحه خالية تماما من زيادة إلقاء الشيطان . .

ونص الرواية : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

«سجد النبى ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس» .

وفي رواية أخرى :

«أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم قال : فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا

رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف»

ولعل سجود المشركين من التأثير البياني المعجز للقرآن العظيم ، فهم كانوا يتسمعون للقرآن ،

ويتحاورون حول حقيقته ، ويحاولون إدراك مغزى هذا الوحي كما قال جل شأنه في سورة النبأ :

«عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون» .

وقد قال قائلهم (١٨) :

«والله إن لقوله الذى يقوله حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ،

وإنه ليعلو ولا يعلو ، وإنه ليعظم ماتحته . .» .

رابعا : أن الآية الكريمة في سورة الحج - التى جعلوا سبب نزولها قصة الغرائق ، لها من

السياق الموضوعى والمعنى الواضح ما يباعد بينها وبين هذه القصة المزعومة . .

يقول الله تعالى «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته

فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم» (١٩) .

هذه الآية سبقها بأكثر من عشر آيات قوله تعالى (سورة الحج) «أذن للذين يقاتلون بأنهم

ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير» .

وهى أول آية نزلت في القتال بعد مرحلة طويلة من ضبط النفس وتحمل الأذى . .

ثم ألححت الآيات إلى وعد الله تعالى بالنصر لمن يتحمل أمانة التكليف الإلهى ويقود الحياة بمنهج

الله . .

قال تعالى (سورة الحج) «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز» .

ثم سافت الآيات عبرة القرون الأولى وما فعله الله بالقرى الظالمة . . قال سبحانه (سورة الحج)

«فأملت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير» .

(١٨) السيرة النبوية ، لابن كثير ، تحقيق د . مصطفى عبد الواحد ، ج ١ ، ص ٤٩٩ .

(١٩) سورة الحج ، آية : ٥٢ .

وتؤكد الآيات أن مشركى قريش على شاكلة من سبقهم من المكذبين ، وشأن الرسول ﷺ أن يندرهم ويوضح لهم العاقبة التى تنتظر الناس ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر . . قال جل شأنه (سورة الحج) «قل يأيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ، والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم» .
ثم تأتى آيتنا في هذا السياق الموضوعى لتضع الحقيقة الكاملة أمام الرسول ﷺ . .

فهو ليس بدعا من الرسل ، وكل نبي كان حريصا على هداية قومه ، يشق عليه مخالفتهم ، ويحزنه إعراضهم ، ويود أن لو استقاموا على الطريقة . .
هذه أمنية كل رسول ونبي . .

وقد أثبت الله تعالى هذا المعنى لسيدنا محمد ﷺ في أكثر من آية فقال «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم» (٢٠) .

وقال جل شأنه «فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا» (٢١) .

وقال سبحانه «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون» (٢٢) .

ولكن الحياة لا تخلو من عقبات . .

وشياطين الإنس والجن يقفون بالمرصاد لكل دعوة حق . . يلقون الشبه ويثيرون الفتنة ويفسدون في الأرض ، كما قال جل شأنه : «وكذلك جعلنا لكل نبي عددا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول عزورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون» (٢٣) .
ويظل المؤمنون الصادقون في جهاد وبلاء وتمحيص حتى يأتى وعد الله ويتحقق نصر الدين والملة وتصبح كلمة الله هى العليا . .

وهنا تتخاذل الشياطين ، وتزول مكائدهم وتطهر الأرض من رجسهم «فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم» (سورة الحج) .

وتلك سنة جارية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . . عبر عنها القرآن في أكثر من آية مثل قوله سبحانه : «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون» (٢٤) .

وبعد . . فليكن معلوما أن الدفاع عن الوحى المحمدى إنما هو دفاع عن شرف الأنبياء جميعا . .

وما أحوج المسلمين إلى صفاء الفهم في دين الله بعيدا عن تلبيس إبليس وانتحال المبطلين

وتحريف الغالين . .

(٢٠) سورة التوبة ، آية : ١٢٨ .

(٢١) سورة الكهف ، آية : ٦ .

(٢٢) سورة فاطر ، آية : ٨ .

(٢٣) سورة الأنعام ، آية : ١١٢ .

(٢٤) سورة الصف ، آية : ٨ .

المراجع

- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون الشهيرة بالسيرة الحلبية (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) للإمام علي بن برهان الدين الحلبي ، مصر : مطبعة البابي الحلبي . .
- التفسير الكبير (١٤٠١هـ) للإمام الرازي ، بيروت : دار الفكر .
- تفسير القرآن العظيم (١٤٠٣هـ) للإمام ابن كثير ، بيروت : دار المعرفة .
- الجامع لأحكام القرآن (١٩٦٥) للإمام القرطبي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .
- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام (١٣٩١هـ/١٩٧١م) للإمام السهيلي ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية .
- السيرة النبوية (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) للإمام ابن كثير ، تحقيق د . مصطفى عبد الواحد ، مصر : مطبعة البابي الحلبي .
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١٣٩٤هـ) للإمام الصالحى الشامى ، تحقيق د . مصطفى عبد الواحد وآخرين ، القاهرة : طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- صحيح البخارى بشرح الكرماني (١٤٠١هـ) بيروت : طبعة دار إحياء التراث .
- عمدة القارى شرح صحيح البخارى (د . ت) للعلامة بدر الدين العيني ، بيروت : دار إحياء التراث .
- فتح البارى شرح صحيح البخارى (د . ت) للعلامة ابن حجر العسقلانى ، بيروت : المطبعة السلفية ومكتبتها .
- الكشاف (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) للإمام الزمخشري ، مصر : مطبعة البابي الحلبي .

Al-Gharaniyq* Story between Reason and Narration

Dr. M.S.A. Al-Musayyar

*Faculty of Education, Al-Madinah Al-Munawwarah,
King Abduaziz University, Saudi Arabia*

Prophet's-Peace be upon them-are select human beings. Gods's revelation to them constitutes the highest form of true knowledge-knowledge that is divinely safe-guarded to reach them without any additions or interference from Satan in the process of transmission. A number of exegetists and biographers have given us different versions of "al-Gharaniyq Story". If taken literally these versions are found to be in conflict with the divinity and authenticity of heavenly revelation.

A summary of these stories runs as follows:

While Prophet Muhammad-peace be upon him-was attending a Qurayash gathering, the following verses were revealed to him:

«والنجم إذا هوى ، ماضل صاحبكم وماغوى ، وماينطق عن الهوى . . .»

'By the star when it goes down
Your Companion is neither astray nor being misled
Nor does he say (aught) of (his own) Desire'(1)

When the Prophet read the verses up to:

«أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . . .»

'Have you seen Lat and 'Uzza
and another, the third (goddess), manat?''(2)

it was reported that Satan induced him to add a few words of praise about the idols. These words could be rendered as: "Those bird-like idols whose intercession is hoped for". According to the story the unbelievers were very pleased to hear the Prophet pay tribute to their idols.

On the eve of the following day, the angel Gabriel was sent to the Prophet, peace be upon him, to draw his attention to Satan's distortion of the revelation. The Prophet was seized with grief and dejection until verse

* 'Al-Gharaniyq' are idols in the form of birds with long necks regarded as a symbol of beauty. (★)
Surat al-Najm, the Star, Verses 1-3 and 19-20 respectively. Translation from 'The Glorious Qur'an', (٢٠١)
Translation and Commentary by Abdulla Yusuf Ali, The Islamic Foundation, (London, 1978).

52 in Surat 'Al-Hajj,' (i.e. the Pilgrimage), was revealed (to remedy the situation). The verse reads:

«وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم» .

“Never did We send
An apostle or a Prophet
Before thee, but, when he
Framed a desire, Satan
Threw some (vanity)
Into his desire; but God
Will cancel anything (vain)
That Satan throws in,
And God will confirm
(And establish) His Signs;
For God is full of knowledge
And wisdom⁽¹⁾”

Here ends the story.

Exegetists have unnecessarily exhausted themselves in their interpretation of the so-called 'Gharaniq Story'. They did their best to reconcile their interpretations with the infallibility of the Prophet. Such attempts were unjustifiable. To accept the 'Gharaniq Story' is to question the sanctity of prophethood and to tell lies about the Prophet.

The present researcher-as well as all other serious scholars-refutes as groundless the 'Gharaniq Story.' As for Verse 52 quoted above the researcher has established that it has no relation whatsoever to do with the story. As a matter of fact, the meaning of the verse and the context in which it occurs have nothing to do with such a fabricated story.

The researcher would also like to urge Muslims to achieve a clear understanding of God's given religion uninfluenced by the authors of lies and the distortions of the fanatics.